المشرق

شركة مار منصور دي بول

لمة تاريخيَّة بقلم الاب لويس شيخو اليسوعي

ان من العلامات المميِّزة لكنيسة المسيح الحقيقيَّة والسمات الخاصَّة بها دون سواها محبَّة ابنائها للقريب تبعاً لقوله تعالى (يو ١٣: ٣٥) : « بهذا يعرف الجميع انكم تلاميذي اذا كنتم تحبُّون بعضكم بعضاً ». فترى الكنيسة حيثما اناخت ركابها ومدَّت اطنابها أسرعت الى مساعدة ذوي البأساء ولسعاف المصابين بالنكبات والمبتلين بتوازل الدهر وبلايا الحياة في كل مظاهرها وضروب آفاتها بين كل عباد الله على اختلاف مللهم ونحلهم لتشفي على قدر استطاعتها كل داء وتلطِّف كل وجع وتسدَّ كل حاجة. حتى انَّ احد كبار فلاسفة القرن المنصرم امكنهُ ان يقول في نادٍ حافل ضمَّ اليه كثيرًا من ارباب الاديان المختلفة : « اقول ولا اخاف ان ينكر عليَّ احد منكم قولي انَّ الكنيسة الكاثوليكيَّة هي اعظم منشئة للاعمال الخيريَّة في العالم. فان رأيتم بلدًا ترقَّت فيه المساعي الخيريَّة تأكَّدوا انَّ للكثلكة فيها يدًا طويلة بل اوفى الاسهمة فان المشروعات الخيريَّة تنبت تحت اقدامها كما تنبت الأزهار في الرياض بعد هطلان الامطار ». ولكلِّ عمل من هذه الاعمال المبرورة التي اخذت الكنيسة على عاتقها القيام بها تاريخٌ عجيب لا يتصفَّحهُ القارئ الَّا عظَّم الله ومجَّدهُ في ما الهمهُ لعباده من طرائق الاحسان. فمنها ما يرتقي الى قرون عديدة فلا تنحصر تفاصيل اخباره في مجلَّدات ضخمة ومنها ما هو أحدث عهدًا نشأ في الازمنة المتأخرة فظهرت آثارهُ الطيِّبة في كل الاقطار

ولعلَّ القرن السابق الذي استفحل فيهِ الشرّ وانتشر روح الكفر كان من أغنى القرون باعمال الخير نحو القريب اذ رأى الكاثوليك انَّ في المشروعات الخيريَّة أحسن جواب على اهل الكفر ففيهِ قامت جمعيَّات رهبانيَّة لا تُحصى لمعالجة كل الاسقام المادِّيَّة والاديبَّة معاً. بل نشأت جمعيَّات دينيَّة بين العالميّين انفسهم اقدموا فيها على كل اعمال الصلاح بنزاهة عجيبة وتفانٍ يذهل العقول

وفي هذا اليوم نلقي بنظرنا الى احدى هذه الجمعيَّات الخيريَّة التي عطَّرت العالَمين بشذا مبرَّاتها فامتدَّت فروعها الى بلادنا منذ خمسين سنة واحتفلت شركتها الوطنيَّة مؤخَّراً بعرسها الذهبي فهنَّأناها بهذا الموسم البهيج ووعدنا ان نفرد لتاريخ الشركة العموميَّة مقالة ها نحن نقوم بوعدنا فنسرد بجمل اخبارها في هذه الصفحات ليرى القرَّاء ما عملتهُ شركة واحدة في الكنيسة من الاعمال العظيمة ويقيسوا عليها بقيَّة الجمعيَّات الخيريَّة التي يطول ذكرها

ولا نحتاج لعمري الى دليل بعيد لتأييد هذا القول فانَّ في الاستانة العليَّة وساحل الشام وانحاء فلسطين ووادي النيل ما ينطق لسان حالهِ بصحَّتهِ فانَّ اربعة اخماس المشروعات الخيريَّة التي تُرى فيها يقوم بها الكاثوليك من مستشفيات ومياتم ومستوصفات وملاجئ ومآوي ليليَّة وعيادة المرضى وزيارة المحبوسين وايواء الغرباء وتربية اللقطاء وتهذيب الاحداث وعلاج المتوهين. فيصحُّ في كل آن تكرار قول الشهيد البديس لورنسيوس للمتصب الذي كان يطلب منهُ ان يدلَّهُ على كنوز الكنيسة: « ليس للكنيسة كنز آخر سوى الفقراء وذوي الاسقام »

*

في احدى ليالي الشتاء من سنة ١٨٣٣ كان نخبة من الشبَّان الكاثوليك مجتمعين في احد النوادي التي كان انشأها المسيو بالي (M. Bailly) من علماء باريس في عاصمة فرنسة لينشر بين الشبيبة العلوم العصريَّة موَّاخيةً لمبادئ الدين وكان اتى في تلك الليلة الى ناديهم بعض رصفائهم غير الكاثوليك الدارسين معهم في كليَّة باريس فوقعت بينهم مناظرة في العقائد حمي وطيسها الى أن قام أحد اولئك المدعوّين فقال: « كفاكم ايها الكاثوليك الافتخار باعمالكم فأروا شيئاً من اعمالكم فانَّ الشجرة تعرف من اثمارها على قول الانجيل ». فكانت هذه الكلمة اشبه بحربة في قلب البعض من

السامعين المتحمسين في الدين فصرخ واحد منهم: هيا بنا الى عمل الخير. وقاموا من ساعتهم وآلوا على نفسهم بان ينشئوا جمعية خيرية غايتها اعانة الفقراء وزيارتهم في اكواخهم لسدّ اعوازهم. وفي تلك الليلة ارادوا لهم شاهدًا على صدق عزمهم فانهم نقلوا ما كان بقي عندهم من الوقود الى طاقة فيرة لتصطلي به وقضوا آخر فصل الشتاء بلا نار. وما مرّ عليهم ايام قليلة حتى أنشأ ثمانية منهم شركة جعلوها تحت شفاعة القديس منصور دي پول إمام الجمعيات الخيرية في القرن السابع عشر الذي اختاره الحبر الاعظم لاون الثالث عشر سنة ١٨٩٦ كشفيع لكل الشركات الخيرية في العالم الكاثوليكي. وكان اولئك الشبان كلهم في ربيع العمر ليس بينهم الّا واحد تربى سنّهُ قليلًا على العشرين. وكان في مقدمهم فردريك اوزانام الشهم الهمام الذي كان جامعاً في شخصه كل صفات العقل والقلب فاشتهر مدة حياته كلها بعلمه الواسع وتُقاهُ لربه فوضع هؤلاء لفتهم قوانين مملوءة حكمة وتجرُّدًا واختاروا لهم استاذهم المسيو بالّي كرئيس لجماعتهم الخيرية وجعلوا لهم ايامًا معلومة يجتمعون فيها ليتباحثوا في حاجات البؤساء والطرائق الكافلة باسعافهم. وعيّنوا لكلّ فريق منهم بعض العيال من الساكين يزورها كل اسبوع ويحمل اليها ما امكنهُ من الحسنات

هكذا كانت بداية تلك الجمعية الصالحة التي أشبهت في نشأتها حبّة الخردل الانجيلية وهي اليوم تمدّ اغصانها الى اقاصي المعمور. وكان وضع اساسها في اواسط شهر ايار من السنة ١٨٣٣ ولم يكُن للاكليروس في انشائها مدخل الّا انّ اصحابها اتخذوا لهم بين ارباب الدين كهنةً وكلوا اليهم امورهم الروحية وارتشدوا بمشورتهم واستضاءوا بنبراس فضائلهم وعرضوا عليهم قوانينهم وصدّروهم في جلساتهم العمومية وهم مع ذلك مستقلّون في العمل وفي تنظيم جماعتهم. وكان مجموع ما انفقهُ اعضاء الجمعية من الدراهم على البائسين في سنتهم الاولى لم يبلغ الف فرنك اذ لم يكونوا اغنياء وهم وقتئذٍ من جملة الدارسين واكثرهم ليسوا من باريس وانما قصدوها لدروسهم مؤقتًا

وكان فكرهم ان يبقوا ثمانية تجمعهم رابطة الصداقة والدين الّا انّ المثل كما قيل مُعدٍ صالحًا كان او طالحًا فما لبث عددٌ من الشبان ان طلبوا الانضواء الى جماعتهم فتبارهم حتى ناف مجموعهم على المئة بعد سنة وازداد بذلك دخل الشركة فامكنهم ان يوسعوا نطاقها ويوزّعوا على المحتاجين مبلغ الفي فرنك. وكان من جملة بنود جمعيتهم

أن لا ترصد من المبلغ المجموع شيئاً لمستقبل الجمعيَّة بل تصرفهُ كلَّهُ على البائسين متَّكلةً على قولهِ تعالى: أعطُوا تُعطَوا وبالكيل الذي تكيلون يُكال لكم ويُزاد. وقد ثبت ذلك بالحرف في شركة مار منصور فانها مُذ عُرفت غايتها وعلم ذوو الحميَّة والدين ما ترمي اليهِ من الاغراض الاجتماعيَّة الجليلة توارَدت اليها الحسنات وتقاطر اليها المشتركون من انحاء باريس وطلبوا بالحاح الانضمام اليها حتى ضاقت بهم معاهد الاجتماعات وقُضي على المسيو بالي ان ينشئ فروعاً جديدة لجمعيَّتهم فصارت فرعين ثم ثلاثة فروع ثم اكثر من ذلك فنتج عن هذا التقسيم انَّ الباريسيين زادوا اقبالاً على جمعيَّة مار منصور دي بول حتى بلغ عدد المنتمين اليها في السنة الرابعة ٢٣٧ شاباً في مقتبل العمر اقلعوا عن الملاهي التي اعتادوها وقت دروسهم ليوقفوا نفوسهم لعمل الخير وزيارة الفقراء ومساعدة البائسين وكان لكلّ فرع اجتماعاتهُ القانونيَّة يجري فيها على موجب القوانين المنشأة سابقاً . وكان متقدّمو كل فرع يعقدون جلسات خاصَّة يتَّفقون فيها على نظام واحد فيبقى الروح واحداً والغاية واحدة

وفي تلك الاثناء انهى بعض اولئك الشبَّان دروسهم في باريس فعادوا الى اوطانهم وكان اوَّل ما حاولوا انشاءهُ في مسقط رأسهم جمعيَّة كجمعيَّة باريس كانوا يشركونها بشركة العاصمة ويسيرون فيها على قوانين الجمعيَّة الأُمّ ويخصُّون قواهم ومالهم بخدمة المنكوبين. فكنتَ ترى في مدن ليون ونيم ورانّ وديجون وتولوز وناسي ومتس وليل وكهار جمعيّات ينعشها روح شركة باريس فتجاريها في كل مساعيها الخيريَّة

وكان الاساقفة في فرنسة ينظرون اوَّلاً الى الشركة بعين الحذر خوفاً من ان يسري الى اعضائها شيءٌ من روح العصر والاستبداد الديني الَّا انَّهم ما فتئوا ان تبيَّنوا صدق ايمانهم وشدَّة غيرتهم على الدين وطاعتهم التامَّة للرؤساء الروحيين فاخذوا من ثمَّ يشيدون في محامدهم ويطرّون اعمالهم ويحثُّون المؤمنين على الانتظام في سلكهم لاسيما بعد ان اطَّلع الحبر الروماني غريغوريوس السادس عشر على مآثر الشركة واصدر في اثباتها براءةً تاريخها ١٠ ايلول سنة ١٨٤٥ ضمَّنها الثناء الطيّب على همَّة رؤسائها وتراهة اعضائها ومنحهم جميعاً نعماً روحيَّة غزيرة. وشفع ذلك ببراءةٍ ثانية أُعطيت في السنة عينها في تاريخ ١٢ آب أيَّد فيها منطوق الرسالة الاولى واضاف اليها هبات جديدة من فيض الكنوز الرسوليَّة . فكان لهاتين البراءتين احسن وقع لدى المؤمنين

اجمالًا واصدر الاساقفة عدّة مناشير دعوا فيها رعاياهم الى موالاة الشركة ومناصرة اعضائها. فانتشرت اية انتشار ليس فقط في فرنسة بل في بقيّة انحاء اوربة.

وكان رئيسها الاوّل المسيو بالي لا يألو جهده في تمكين اصول الشركة وتوسيع اشغالها وحفظ روحها. وسعى حفظًا لوحدتها في تنظيم مجالس شورى منها خاصّة في كل مدينة ومنها مركزيّة في كل دولة او ناحية وجعل مرجع الجميع الى مجلس شورى عامّ يُعقد سنويًا في باريس. وكان يكاتب بذاته او بمعاونيه المجالس المركزيّة والجمعيّات الخصوصيّة وفروعها فيشكر تارةً وتارةً ينشّط الهمم وحينًا يرشد وحينًا آخر يقوّم ما يرى من الاعوجاج. وكان في كل سنة يكتب رسالة عموميّة لكلّ الجمعيّة ليوقفها على سير الشركة ويؤدّي لها النصائح الابويّة ليزيد الاعضاء تفانيًا في سبيل الخير وخدمة المساكين. ولدينا كثير من هذه الرسائل التي تظنّها اذا قرأتها لاحد افاضل الاساقفة او آباء الكنيسة لا لرجل عالمي

على انّ تراكم الاشغال والتقدّم في السنّ دفعا المسيو بالي الى ان يطلب من شورى الجمعيّة ان تقبل استعفاءه سنة ١٨٤٤ فأجابوا الى طلبته آسفين فاختاروا له كخلف مُحسنًا ذائع الشهرة وكبير الهمّة المسيو غوسّان (Gossin) فباشر بالعمل بزيد النشاط. الّا انّ صحّته الضعيفة اضطرّته بعد ثلاث سنين الى تقدمة استعفائه فأُجيب مُلتمسه واقاموا بدلًا منه رجلًا متداماً ذا فهم متوقّد وحبّ ملتهب للفقراء كان هدفه الى اتمام واجبات دينه الاب دي راقينيان اليسوعي والواعظ الشهير في كاتدرا باريس المعروفة باسم «نوتردام» وهو احد الاشراف اسمهُ بودون دي موني (Baudon de Mony) فاستلم اشغال الشركة في ١٢ تشرين الثاني سنة ١٨٤٧ وبقي على رئاستها نحو ٤٠ سنة الى غاية حزيران سنة ١٨٨٦ فتضى تلك المدّة الطويلة بجميع اعمال الرحمة التي خلّدت ذكره في قلوب مئات الالوف من البشر الذين عرفوا فضلهُ ونالوا صدقاته الوافرة. وقد سطّر سيرتهُ العجيبة احد كبار الكتبة الاب شالّ (Schall) فاجازتْ جمعيّة العلوم الفرنسويّة هذا الكتاب واهدت رسام الشرف لمؤلفه. والتآليف عبارة عن سلسلة متواصلة لكل المبرّات التي اتاها المسيو بودون تلطيفًا لاسقام البشريّة حبًّا به تعالى فقط

وكان فردريك اوزانام اكبر منشئي الشركة كساعد لرئيسها على عهد المسيو بالي اوّلًا ثم في ايام خلفيه المسيو غوسّان والمسيو بودون شاطرهم كل الاتعاب والمشقّات في

انجاح مساعيهم الخيريَّة ولم يزل يتنقَّل في انحاء فرنسة ويكتب ويخطب حتى كلَّل الله مساعيهُ بالنجاح التام. ثم رأى انَّ اعمال الخير لا تختصّ ببلدٍ واحد فرحل الى ايطالية وانكلترَّة وبلجيكة واسبانية وانشأ فيها كلَّها فروعاً لشركة مار منصور وانعشها بروح الدين والحبّ الخالص للقريب. وكان مع ذلك وزعيماً عن الاسقام التي تتناوبهُ لا يملّ من الكتابة يوماً فألف عدَّة تآليف خطيرة جُمعت في مجلَّدات عديدة تردان بها مكاتب الخاصَّة ونال بسببها امتيازات شتى وجوائز كبيرة كان يوزّعها على البائسين. بيد انَّ تلك الاشغال ما لبثت ان أنهكت قواهُ فابَى خالقهُ بعد مدَّة فمات ميتةً صالحة في مرسيلية والصلاة آخر ما تلفَّظت بهِ شفتاهُ وذلك في ٨ ايلول سنة ١٨٥٣ في يوم عيد ميلاد البتول الطاهرة التي كان متعبّدًا لها عبادة خاصَّة. فظهر اوزنام في موته اعظم منهُ في حياتهِ فافاض الكل في حسن سجاياهُ وشرف نفسهِ وزهدهِ في العالم وتفانيهِ في خدمة ابناء جنسهِ كما اطرأوا وفرة اعمالهِ الادبيَّة والاجتماعيَّة مع ان عمرهُ لم يتجاوز الاربعين

وكانت جمعيَّة مار منصور يوم وفاة منشئها الاوَّل قد بلغت مقاماً اثيلًا وكل محبي الخير ينزون اليها بعين الرضى والاعجاب. وقد ظهرت محاسنها في العام المقبل لمَّا استدعى بيوس التاسع رئيسها وعمدتها الخاصَّة الى رومية وباركهم بركةً واسعة وناولهم القربان الاقدس بيدهِ واسترسل في الثناء على همتهم وتبرَّع على جمعيَّتهم بمبلغ ١٣,٥٠٠ فرنك مع ما كان عليهِ الكرسي الرسولي في ذاك الوقت من الضيق. وتهلَّل البابا فرحاً لمَّا سمع خلاصة اعمال تلك الشركة الزاهرة التي بلغ اوانئذٍ عدد اعضائها عشرات الوف بعد ان كانوا ثمانية في بدء الامر وكانت فروع الجمعيَّة منبثَّة في كل الاصقاع وعددها ٢٨١٤ فرعاً بحيث تناولت فروعها كل ممالك اوربَّة وكثيرًا من بلاد اميركة وآسية وافريقية واستراليا اما وارداتها السنويَّة فكانت تبلغ نيفاً وثلاثة ملايين من الفرنكات وكانت لم تتجاوز كما سبق الف فرنك في السنة الاولى

فماذ اصحاب العمدة من رومية وصدورهم تتأجج غيرةً لمواصلة اعمالهم الخيريَّة وتنميتها شاكرين لإمام الاحبار الذي منح للجمعيَّة ثلاث براءات اعربت عن سموّ رضاهُ عنهم وخوَّلهم من الانعامات والامتيازات ما زاد في نشاطهم وضاعف همهم في مؤاساة اخوتهم المحتاجين وجعل لهم في رومية كردينالًا محامياً ينظر في شؤون شركتهم

ولم يكن همّهم الوحيد زيارة العيال الفقيرة واسعافها بالصدقات بل اضافوا الى ذلك اعمالاً أخرى شريفة أنفقوا في إنشائها الملايين من الفرنكات كمآوي للاطفال اللقطاء وملاجئ ليل للفراء ومدارس مجانية لتثقيف الصغار ومعامل صناعيّة يتعلّم فيها اولاد الفقراء حِرَفاً يرتزقون بها لمعاشهم ومطابخ اقتصاديّة لمن يعدمون القوت اليومي ومخازن يوزّعون فيها الكسوة الضروريّة للمحتاجين ومستوصفات للمرضى والمحبوسين ومنازل للعجزة ومدارس ليليّة وغرف قراءة ونوادي للجنود وغير ذلك من اعمال الرحمة التي كانوا يأتونها لخدمة القريب دون تميز المذاهب والاديان

وفي السنة ١٨٨٣ أقامت الجمعيّة اعيادًا شائقة بنسبة يوبيلها الذهبي فاوفدت الفروع الخاصّة من كل انحاء المعمور وفودًا يمثلونها في باريس حيث ظهرت لكل العيان عجائب المحبة الكاثوليكيّة التي جمعت في وحدة العمل والغاية الشريفة اناسًا من كل الاقطار وكافّة لغات العالم. وكذلك جرت في رومية مظاهرات فخيمة فكرّر الحبر الاعظم لاون الثالث عشر آيات حبّ الكرسي الرسولي لجمعيّة مار منصور دي بول ووهب رئيسها وسام كرمندور القديس غريغوريوس الكبير. ولمّا كتب في العام التالي منشورهُ الشهير في حالة النَعَمة أثنى فيه اطيب ثناء على شركة مار منصور وحرّض الكاثوليك على الاقتداء بآثار اصحابها. وكان بلغ في سنة العيد الذهبي عدد المنتمين الى الشركة نحو ٧٠,٠٠٠ يوزّعون اكثر من ٣٠٠٠ جماعة محليّة ويجمعون في السنة نيفاً وثمانية ملايين من الفرنكات يوزّعونها على ١٢٠,٠٠٠ عائلة. امّا مجموع ما كانوا فرّقوهُ في سبيل البرّ منذ ابتداء الجمعيّة فكان يفيف على مئة وثلاثين مليونًا من الفرنكات. وكان قوم من اعداء الكنيسة اذ رأوا ما ينال الدين من الفخر بسبب جمعيّة مار منصور جعلوا يناصبونها ويغرون الحكومة الفرنسويّة على أصحابها فضايق عمّال الدولة على رؤسائها وسعوا في تشتيت نظامها الّا انّ كثيرين من الكتبة والخطباء والسياسيين اخذوا بناصر الجمعيّة ونفوا عنها الشكايات الباطلة التي موّه بها اعداء الدين وجه الحقيقة ولم يزالوا يدافعون عن حقوقها ويذبّون عن حوزتها حتى افحموا معاديها واعلنوا بفضل اربابها العميم

ثم عادت الجمعيّة الى اعمالها الخيريّة بنشاط غريب فأقبل عدد لا يُحصى من المحسنين وطلبوا ان يشتركوا معها. فطرق المسيو بودون ابوابًا جديدة من الخير قام بها اصحاب

الشركة كتربية اليتامى وتعليم الجهّال اصول الدين وتنظيم الزواجات غير القانونيّة ودفن الموتى والصلاة على نفوسهم

ولمّا اعتزل المسيو بردون اشغال الجمعيّة في السنة ١٨٨٦ كما سبق لنرعُك صحّته وكبر سنّه (وكانت وفاتهُ في ٩ حزيران ١٨٨٨) قام باعباء عمله المسيو باجس (A. Pagés) اتّفقت اصوات الشورى على القاء مقاليد الشركة الى درايته وهمّته القعساء فتعقّب آثار سلفهِ بجميّة وبذل نفسهُ في إنجاحها . ووقعت في تلك الاثناء سنة اليوبيل الكهنوتي للاون الثالث عشر فعقد الموسيو باجس في رومية حفلة كبيرة حضرها ١٥٠٠ نائب من فروع الشركة المنبثّة في اربع خوافق الدنيا ثم حظوا بالمثول امام الحبر الاعظم وتقبيل اقدامهِ في ٨ شباط سنة ١٨٨٨ فوجد البابا في عددهم وغيرتهم تعزية عظيمة ولاسيما اذ قدّم لهُ الرئيس قطرًا بديعًا كان يحوي اسماء كل فروع الشركة في العالم باجمعهِ وهي بالغة ٤,٢٠٠ فرع تضمّ اليها نيّفًا و ٨٣,٣٠٠ من المشتركين ينيف مجموع حسناتهم على عشرة ملايين من الفرنكات قضى امام الاحبار العجب من نموّهم وكثرة اعمالهم فزوّدهم باغزر بركاته الرسولية

ومنذ تلك السنة لم تبرد همّة جماعة مار منصور بل كانت تزيد عامًا بعد عام عددًا وجودًا. ولمّا اغتالت المنيّة في ١٨ ايلول سنة ١٩٠٣ المسيو باجس دُعي الى رئاسة الجمعيّة المسيو بولس كالون (P. Calon) وهو رئيسها الحالي الذي يقتصّ آثار اسلافهِ فزادت الشركة بحسن سعيهِ نموًّا وفضلًا وقد وقفنا على لائحة الجمعيّة ومجموع وارداتها وصادراتها للسنة الماضية فاذا هي بالغة عددًا لا يكاد يصدّقهُ القارئ لولا تفاصيلهُ بلدًا فبلدًا فانّ مجموع المبالغ التي جادت بها المشتركون خمسة عشر مليونًا من الفرنكات وُزّع منها ثلاثة عشر مليونًا ونصف على المعوزين وذوي الاسقام والمصابين بكل انواع الآفات. وفرنسة وحدها مع كثرة مبرّاتها الخارجة تدفع الثلث من هذا المبلغ العظيم. امّا مراكز الجمعيّة وفروعها فبالغة ٦٠٠٠ ينيف عدد المشتركين فيها على ١٠٠,٠٠٠ وكلّها مرتبطة بروابط الالفة والاتحاد مع المجلس الاعلى في باريس تجري في جمع الصدقات وتوزيعها على القوانين العموميّة التي وُضعت قبل ٧٥ سنة. والاعضاء مع اهتمامهم باسعاف القريب لا ينسون العناية بتقديس نفوسهم فلهم في اجتماعاتهم صلوات يتلونها وقراءات روحية يسمعونها ويحضرون سويّة الذبيحة الطاهرة وفي كل سنة يُدعَون

الى رياضات تقويّة وممارسات دينيّة من شأنها ان تنمو في قلوبهم نار المحبّة في خدمة ربّهم واعانة قريبهم

*

وكان بودّنا ان نتتبّع ولو بوصف وجيز اعمال شركة مار منصور في كل مملكة ودولة ليقف القرّاء على ما أنتهُ من المشاريع الخيريّة في كل طبقات الهيئة الاجتماعيّة غير انّ ذاك الوصف مهما كان قليلًا لا تحصرهُ المجلّدات فكيف بالصفحات . وانّما نذكر هنا الفروع الشرقية التي نمت بيننا من تلك الدوحة الوارفة الافنان

وعلى ما يظهر لنا انّ الابتانة العلية كانت اوّل مركز في الشرق لشركة مار منصور وذلك سنة ١٨٥٤ بعد حرب القريم فكان لزيارات الاخوة للمنكوبين ولاسعاف الفقراء على اختلاف نِحَلهم احسن وقع في قلوب اهل العاصمة عموماً حتى انّ كثيرين تبرّعوا بمالهم بيد سخيّة ليوزّعها ايضاء الجمعية على المحتاجين . وفروعها اليوم ستّة

وما لبثت ازمير أن اقتدت بمثال الاستانة فأُنشئت فيها فئة للجمعية أتت بثمار شهيّة تحت ادارة الآباء اللازريين ثم نمت فانقسمت الى فرعين

اما قطر الشام فكان فيه فضل التقدّم لمدينة بيروت في عقد اوّل شركة لجمعية مار منصور وكان تاريخ انشاء ذلك الفرع في ٧ أيار سنة ١٨٦٠ اعني قبل حوادث الشام ولبنان المحزنة بنحو شهر فقط بعد ان اتّفق عليه خمسة رجال من الطوائف الكاثوليكية في المدينة اعني بهم الافاضل بطرس ديشان اللاتيني وراجي ادّه ونقولا قاطي المارونيّان وانطون عيد صبّاغ الروم الكاثوليكي الملكي وميخائيل فرج الله الارمني اجتمعوا لاوّل مرّة في دير الآباء اليسوعيين القديم بحضور رئيس الرهبانيّة اليسوعية العام الاب رينيه استيف الشهير بالاب سابلن واختاروا لرئاسة الشركة بالصوت الحي بطرس ديشان

ومنذ ذاك الوقت اخذت الشركة البيروتية تنمو وتزداد وتُثنى بكل اعمال الصلاح على مألوف عادة الجمعيّة العموميّة وانضوى اليها قوم من الاشراف وذوي الرتب السامية الدينيّة والعالميّة منهم بطاركة كالسيّدين يوسف والرغا وغريغوريوس يوسف الاوّل واساقفة كالسيّدين طوبيّا عون وانطونيوس قندلفت ومنهم متصرّفون في لبنان كالمرحومين فرانقو باشا وواصا باشا ومنهم قناصل دول وامراء وشيوخ كجورج لورلّا ونقولا بك سيوفي والامير فارس شهاب والكنت نصر الله دي طرّازي والشيخ شديد

بك حبيش وغيرهم كثيرين تجد اسماءهم مُدوَّنة في خلاصة اعمال الشركة السنويَّة

وبعد قليل ضاق نادي الجمعيَّة بالاعضاء فقُسمت الشركة الى عدَّة فروع خاصَّة تبلغ اليوم خمسة وهي جمعيَّات قلب يسوع ومريم العذراء ومار يوسف والقديس لوقا والقديس جرجس تجمع في كل سنة نيفًا و ١٥,٠٠٠ غرش يصرفونها في سبيل البرّ وان حُسب مجموع ما انفقتهُ الجمعيَّة منذ نشأتها الى اليوم كاد يبلغ ثلاثة ملايين من الغروش. فكفى بذلك دليلًا على عظم فضل الجمعيَّة ووفرة مبرَّاتها جازى الله المشتركين فيها وكل المحسنين اليها الف خير. وقد قام الاخوة ما عدا زيارة الفقراء باعمال خيريَّة اخرى متعدِّدة ففتحوا معهدًا لليتامى ومكاتب مجانية للصغار وناديًا لرعاية العملة ومدارس للاحد وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي اكسبت شركتهم اعتبار العموم دون استثناء. وقد اصدرت الجمعيَّة نشرةً شهريَّة ظهرت سنة ١٨٦٣ كانت تحتوي فصولًا مفيدة وكانت نشرت قوانينها اوَّلًا سنة ١٨٦١ واعادت طبعها موسَّعةً سنة ١٨٦٣ في مطبعتنا

وقد دبَّر الجمعيَّة في هذا نصف القرن رجال ذوو عقل صائب ودين واسع وتراهة تامَّة وكرم حاتمي نذكر منهم المرحومين بطرس ديشان (P. Deschamps) الذي اضحى اسمهُ مرادفًا للغيرة والاحسان فانعم عليهِ الحبر الاعظم بوسام «البابا والكنيسة» ويوسف برطاليس (J. Portalis) مثال الرأفة والبرّ. وراجي ادّه الذي تفانى في خدمة الشركة ٣٠ سنة بلا ملل. وبشاره الخوري الذي سردنا في المشرق (٣: ٩٧ — ١١) اعمالهُ الطيِّبة. وغير هؤلاء ممَّن حفظت الجمعيَّة اسماءهم في سجلَّاتها بل طبعت ذكرهم في صفحات قلوب اعضائها إذ ادَّوا لها من الخدم المشكورة كالآباء اليسوعيين هنري دي برونيار (H. de Prunières) وفرنسيس بدور (F. Badour) وبولس غرنيه (P. Garnier) والخوريين الفاضلين جبرائيل ملحمه واغناطيوس الحايج

ولا عجب بعدما قلنا ان تكون الجمعية البيروتية نالت غير مرَّة من فضل القصَّاد الرسوليين في سوريَّة الثناء الطيِّب على مساعيها بل تلطُّف الحبر الاعظم بيوس التاسع وأعرب عن سموّ رضاهُ من الشركة واعمالها في براءة تاريخها ٢٢ ك ٢ سنة ١٨٧٠. وقد جاء في الشهر المنصرم دليل جديد على تعطفات نائب المسيح على الارض اذ ورد الجمعيةَ رقيمٌ بخطايد قداسة الحبر الاعظم يهنّئ فيهِ الجمعية على بلوغها السنة الخمسين

ويمنح اعضاءها البركة الرسولية وغفرانًا كاملًا على الشروط المعتادة

ومما يعود فضلهُ نوعًا الى شركة مار منصور في بيروت أنها كانت اكبر محرّك لانتشار الجمعيات الخيريّة في هذه البلاد بمثل ذويها وتحريضاتهم شفاهًا وكتابًا. وكان الدمشقيون اسرع من غيرهم في اقتفاء معالم شركة بيروت فأنشأوا جمعية ازهرت واثمرت بزمن قليل حتى اضطرّوا الى قسمتها الى عدّة فروع تبلغ في يومنا الستّة ومدخولها يقيف على ٢٠,٥٠٠ غرش في السنة. ومثلها في النجاح ووفرة الواردات الفروع الاربعة من جمعية مار منصور في زحلة والمعلقة التي تتصدّق على المحتاجين كل سنة بأزيد من عشرة الاف غرش. وكذلك الشهباء. فانّ جمعيتها المنشأة سنة ١٨٩٨ بهمّة الآباء اليسوعيين على قدم من النجاح لها بعد بيروت المقام الثاني في كثرة الاحسانات على المساكين فانّها صرفت في العام السابق نحو ٣٠,٠٠٠ غرش في اعمال الخير. وفي غزير جمعية تحت ادارة الآباء اليسوعيين تسكب في السنة في حجر الفقراء ٢٦٠٠ غرش. ويقال انّ مثلها في بسكنتا

وفي مصر والاسكندريّة وطنطا والمنيا جمعيات خيريّة لمار منصور دي بول كما في الشام اكبرها جمعية القاهرة المنقسمة الى اربعة فروع توزّع على البائسين كل سنة اكثر من ٧٠,٠٠٠ غرش يليها جمعية الاسكندريّة البالغ واردها فوق ٤٠,٠٠٠ غرش يوزّعها الاعضاء على ذوي الحاجات

وفي فلسطين ثلاث جمعيّات لمار منصور في القدس الشريف وبيت لحم ويافا لم نقف على وارداتها. وكذلك في آطنة جمعية يبلغ مصروفها السنوي على الفقراء ٨,٠٠٠ غرش

فترى من هذا النظر الاجمالي ما جرى بواسطة جمعية مار منصور من البرّات العديدة التي تبهج القلوب سرورًا وتثلج الصدور فرحًا وتعزّي الانسان عمّا يأتيهِ الاشرار والفرسون من الاعمال السيئة فانّ ابناء الله ليسوا باقل في البنيان والعمران من ابناء الظلمات في خراب صرح المجتمع الانساني. فالله نسأل ان يزيد عدد الصالحين فانّهم ملح العالم ولولاهم لانتشر الفساد وعمّ الدمار

ويسرّنا ان نختم هذه الاسطر بنقل فقرات من خطبة للحبر الاعظم بيوس العاشر القاها في نيسان المنصرم في مجمع عام عقدهُ لاستقبال عمدة جمعية مار منصور فقدّم

رئيسهم باسم الجمعية لقداسته التهاني بمناسبة اليوبيل الحبري (١ . فاجاب كبير الاحبار:

« فنحن نحييكم بالسلام يا أبناء شركة القديس منصور دي بول الاعزاء ونشكركم على التعزية التي تقدمونها لقلبنا ليس فقط بالتهاني التي أعربتم لنا عنها بمناسبة يوبيلنا الكهنوتي بل ايضاً بأعمال خيركم وثمار بركم . أجل ان حبة الخردل التي زرعها فردريك أوزانام سنة ١٨٣٣ صارت شجرة عظيمة باسقة فاشرة اغصانها على العالم باسره فها قد مضى على شركة القديس منصور دي بول ٧٦ سنة وهي لا تزال زاهية في فرنسا وايطاليا وبلجيكا وهولندة وسويسرة وجهات اميركا الشمالية والجنوبية والكاندا واستراليا حتى في بولونيا الروسية والكنغو البلجيكي وبذلك أصبحت ملجأ لجميع المتتلمذين للخير المتجندين لاعمال الرحمة من جميع أمم الارض.

« فنحن نسر سكم ايها الابناء الاعزاء بهذا النجاح العجيب الذي نرغب في ان نراه دائماً في شركتكم ولذلك اننا نوصيكم بان تكونوا قبل كل شيء رجال المحبة الفاعلة بواسطة الايمان . وفي اعمالكم الخيرية اسألوا الله ان يرشدكم لانهُ اذا ارتفعت أيديكم كل يوم نحو العلي بواجب الصلاة قبل ان تمدوها نحو أنواع الشقاء البشري لتختنقوها تنالون قوة وعوناً لتقبلوا بالنفوس الشاردة الى الحق سبحانهُ وتعالى . فلتكن حسناتكم لا كحسنات بقية الناس بل حسنات رجال مسيحيين ينظرون في الفقير شيئاً مقدساً ليس فقط لانهُ مخلوق على صورة الله بل لكونهِ يمثل شخص المسيح مخلصنا والهنا . . .

« أنتم تزورون وتساعدون يسوع المسيح بشخص الفقراء ثم انكم تصادفون أحياناً في زياراتكم الخيرية جميع البلايا الطبيعية مضافة الى البلايا الادبية وتلقون اناساً تساء سالقطين في وهدة الكفر والخلاعة مأسورين للخطية غاطسين في الفساد والرذيلة وقساوة الكلام أناساً حرموا ذواتهم بنفوسهم من المبرات الحقيقية الدائمة وأصبحوا بعيدين عن الايمان وعن الكنيسة والاسرار . لكن ثقوا بالله لان ملائكة السلام ترافق خطواتكم نحو هؤلاء المتكودي الحظ الساكنين الذين وعما من شقائهم العظيم وذلهم المفرط يحفظون في قلوبهم ونفوسهم كنوزاً مخفية من بقايا صفات طبيعية نادرة الوجود ومن استعدادات حسنة نحو الفضيلة بل تجدون وسم العماد المقدس حياً في نفوسهم وبقايا الدين والايمان لا تزال منتشة في اعماقهم فيسهل اذن على محبتكم المملوءة حناناً وصبراً ان ترجو بل ان تتحقق خلاصهم . . . »

« ان الروح الشرير يلقي في قلوب الكثير من الاشقياء الريبة من الكاهن والبغض لهُ فيعرقل كل مساعيه الخيرية سادًّا في وجهه بحيل جهنمية كل الابواب لئلا يقرب النفوس ويخلصها . اما أبناء القديس منصور دي بول فيتسترون وتحت ثوب العلمانيين ولذلك يسهل عليهم الدخول في البيوت حيث يعدُّون الطرق للكاهن الذي يستطيع الوصول بواسطتهم بدون مانع الى النفوس وهكذا يفعل ابناء القديس منصور دي بول بواسطة زياراتهم للبيوت فيأتون بأيام قلائل في الرعايا المسيحية ما تأتيه غيرة الراعي الرسولية من الخير مدة سنين طويلة كيف لا

---

١) الطلب مجلة الجماعة ١٩١٠ ص ١٣٣ – ١٣٦.

أيها الابناء الاعزاء ونرى ان الله يشاء ان يأتي براسطتكم أعمالاً عجيبة نظير عماد غير المؤمنين وتثبيت الحديثين في الايمان وزوال التسرُّر بالزواج للقدس وهداية المراطقة وارجاع الخطأة الى التوبة والتقدم المتواتر الى سرِّي التوبة والقربان الاقدس وبناء الكنائس وتأسيس المدارس المسيحية الخ . فهذه هي ايها الابناء الاعزاء الانتصارات الباهرة التي تأتيها نعمة الله براسطتكم . . .

وختم ذلك بالادعية الحارَّة لنموّ الجمعية واتزل عليها وعلى كل مؤلزريها اوفر بركات ابي المواهب التي نستمدّها نحن ايضاً من صميم القلب لكل عملة الخير وبالخصوص لكلّ من نشروا في بلادنا لواء المحبة للقريب تحت شفاعة مار منصور طالبين من اله الرحمة أن يثيب المتوفين منهم ثواب الرب الكريم الذي لم يترك دون جزاء فلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمه وان يفيض اسبغ نعمه على القائمين بعدهم بهذا المشروع الجليل ولاسيما الذين ترأسوا سابقاً الشركة البيروتية مع جناب رئيسهم الحالي المفضال القانوني البارع انطون بك شحيبر كي تزداد الجمعيَّة في أيامه عدداً وفضلاً امين اللهمَّ امين

سفينة بطرس

بقلم حضرة المؤرخ رافائيل البستاني بمدرسة الحكمة

دَعْ ذكرَ أطلالٍ أبَتْ تتَرمَّمُ ... واترك حُداةً بالجمالِ ترنَّموا
وذرِ العقيقَ وحَوملًا والرُّقْتَيْنِ ... لِحالفٍ بَدْوٍ باللوى يتنعَّمُ
واهجرْ سُعادَ وعبلةً وعُنَيْزةً ... إنَّا لفي عصرٍ يجلُّ ويكرمُ
فاسألْ لنا بكرَ القوافي مُنشدًا ... فَضلَ الخطاب فقدرُ شعرك يُعظَمُ
وأسرد مواعيد المسيح لبطرسٍ ... بعد السؤال كن أنى يَستَفهِمُ
سمعانُ يا سمعانُ قُلْ لي مخلصاً ... أتحبني ؟ . . . فأجاب أنك تعلمُ
فأجابهُ : انت الصفاةُ وفوقها ... أبني أساسَ كنيسةٍ لا تُهدَمُ
واليك ألقي بالقسالد واعدًا ... أيدًا فلن تقوى عليك جهنَّمُ
ما قد حللتَ أحلَّهُ وربطتَهُ ... أنا رابط او ما تُحَرِّمُ يُحرَمُ